

"ميكرو" الفعل الاحتجاجي وفاعله الاجتماعيون خلال الثورة التونسية:**17 ديسمبر - 14 جانفي 2011****"Micro" protest action and social activists during the
Tunisian revolution: 17 December - 14 January 2011**

محمد رازقي*

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس

rezgui.medd@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/04/02

تاريخ القبول: 2019/05/27

الملخص:

تُعتبر لحظة الاحتجاج من أهمّ مرتكزات الحراك الثوري. والحيّز العام يُعطي للاحتجاج زخما في الحضور ومشهدية خاصة. يُصبح في هذا الإطار الحيّز العام مكانا ملائما للتحرك والاحتجاج وللممارسة السينوغرافية Scenography، وهنا يتحوّل الفعل الثوري إلى مسرحية والحيّز العام هو الركح. والثورة في هذه الحالة تتحوّل من ممارسات ظرفية مرتبطة بحدث معيّن إلى ممارسة يومية لفاعلين اجتماعيين يعرفون بدقّة خطاطة الحيّز العام الذين يعيشون فيه.

نريد أن نتبين من خلال هذا العمل دور الممارسات الاحتجاجية على مستوى "الميكرو" مثل احتجاجات الجماهير الرياضية ورسمو الغرافيتي في المساهمة في إنجاح الثورة التونسية. والإشكالية التي نطرحها هي هل تشتمل حياتنا اليومية على ممارسات احتجاجية دائمة؟ أم أنّ الاحتجاج والثورة مرتبطان بظرفيات وسياقات خاصة تساهم في توفير "القادح"؟

فهل يمكن أن نقول هنا أنّ الفعل الاحتجاجي أخذ يقترب شيئا فشيئا من الفاعلين الاجتماعيين "العاديين"؟ فمن زعيم ثورة التحرير من الاستعمار في الخمسينات (بورقيبة نموذجاً) مروراً بالمتقّف العضوي إلى قبيل القرن الواحد والعشرين، وصولاً إلى الشباب والعاطلين عن العمل المتمكّنين من وسائط الاتصال الحديثة. فهل يمكن القول أنّ الفعل الاحتجاجي أصبح لا يحتاج لزعيم أو منظر ليصل إلى مرحلة التطبيق؟ وهل ساهم الحيّز العام في تقليص نخبة الفعل الثوري؟ وخاصة وأنّ ثورات الربيع العربي ساهمت في "استعادة الفضاء العام".

* المؤلف المرسل: محمد رازقي، الإيميل: rezgui.medd@gmail.com

قسّمنا هذا البحث إلى عنصرين أساسيين، إلى جانب مقدّمة وخاتمة. وقد كان عنوان العنصر الأول "الحيز العام والثورة التونسية: نموذج جماهير الملاعب الرياضية"، والعنصر الثاني بعنوان "الغرافيتي وإنتاج المعرفة خلال الثورة التونسية".

الكلمات المفتاحية: الثورة التونسية، ميكرو الفعل الاحتجاجي، جماهير الملاعب، الغرافيتي،

2011

Abstract

The moment of protest is one of the most important pillars of the revolutionary movement. Public space gives the protest momentum in the audience and a special scene. In this context, public space becomes an appropriate place for action, protest and the practice of cinemographs, and here the revolutionary act becomes a theater and the public space is the ball. In this case, the revolution of transformed from situational practices linked to a specific event to a daily practice of social actors who know precisely the outlines of the public space in which they live.

We want to see through this work the role of protest practices at the micro level, such as protests by the sporting masses and their graffiti to contribute to the success of the Tunisian revolution. The problem we ask is whether our daily lives include permanent protest practices. Alternatively, is the protest and revolution linked to special circumstances and contexts that contribute to the provision of the "shack"?

Can we say here that the act of protest is gradually getting closer to the "ordinary" social actors? From the leader of the liberation revolution from colonialism in the 1950s (Bourguiba as a model) to organic culture to the twenty-first century, to young people and unemployed people who are able to use modern media. Is it possible to say that the act of protest does not require a leader or a landscape to reach the stage of application? Did the public sphere contribute to reducing the elitist revolutionary act? Especially since the Arab spring revolutions contributed to "restoring public space".

We divided this research into two main elements, along with an introduction and a conclusion. The first element was entitled "Public space and the Tunisian revolution: the model of the masses of sports stadiums" and the second element entitled "Graffiti and the production of knowledge during the Tunisian revolution".

Keywords: Tunisian revolution, micro-act protest, stadium fans, graffiti, 2011

مقدّمة

تُعتبر الثورات العربية مختبرا مهما للعلوم الاجتماعية، وهذا ما حاولت دراسته أحد الأعداد من دورية *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* حيث بين عدد من مقالاتها أنّ الحدث جدير بالدراسة خاص مفهوم عودة الحدث، وعلاقة البحث الميداني بالحراك الثوري وعلاقة الاعلام الجماهيري بذلك، وهل الثورات العربية يمكن أن تغيّر منهجيا ومفاهيميا في مختلف العلوم الاجتماعية، وهل يمكن دراسة الثورات بطريقة مقارنة من خلال مثلا

ثورة 1968 في فرنسا وثورات 2011؟ وما علاقة الثورات العربية بالمصطلحات المتداولة على مستوى الحيز العام؟¹

من ناحيتها دورية العام المغاربي *L'Année du Maghreb* طرحت من هذا الاشكال المعرفي حول علاقة الثورات العربية بالعلوم الاجتماعية من خلال عدد خاص بعنوان « *Printemps arabe : une « révolution » pour les sciences sociales* » ؟

ومن خلال مقالات العدد نتبين كيفية صناعة "الجموع" وعلاقة الثورة بالأقليات²، أو علاقة التفاعل بين العمل النضالي الشعبي الميداني ووسائل التواصل الاجتماعي³.

يمكن القول هنا أنّ الربيع العربي استفّر الباحثين في العلوم الاجتماعية وطرح أمامهم مجموعة من الإشكاليات المعرفية التي تحتاج مراجعة أو إعادة نظر أو تحيين، ولما لا ابتكار مصطلحات ومفاهيم تفسيرية جديدة تتوافق مع مستجدات الثورات العربية. فعلى مستوى المنهج بين توماس كون في كتابه بنية الثورات العلمية وكارل بوبر في كتابه "أسطورة الإطار: في دفاع عن العلم والعقلانية" أنّ لكل عصر إطاره المعرفي أي "براديغم" خاص به، ووجود البراديغم يكون تلبينا لمطلب مجتمعي أو علمي، وفي لحظة غياب هذا المطلب فإنّ هذا البراديغم يفقد معناه وأسس وجوده، وتبدأ رحلة البحث عن براديغم/ إطار معرفي جديد⁴. كما أنّ الثورات العربية فرضت على الجميع وخاصة المؤسسة العلمية البحث عن مفاهيم تفسيرية جديدة وأطر معرفية تلبّي هذا المطلب المجتمعي/ العلمي.

إذا تُعتبر لحظة الاحتجاج من أهمّ مرتكزات الحراك الثوري. والحيز العام يُعطي للاحتجاج زخما في الحضور ومشهدية خاصة. يُصبح في هذا الإطار الحيز العام مكانا ملائما للتحرك والاحتجاج وللممارسة السينوغرافية Scenography، وهنا يتحوّل الفعل الثوري إلى مسرحية والحيز العام هو الركح⁵. والثورة في هذه الحالة تتحوّل من ممارسات ظرفية مرتبطة بحدث معين

¹ Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, Révolutions arabes : un événement pour les sciences sociales ?, N 138, 2015

² Stéphanie Pouessel, « Les marges renaissantes : Amazigh, Juif, Noir. Ce que la révolution a changé dans ce « petit pays homogène par excellence » qu'est la Tunisie », in, *L'Année du Maghreb*, Dossier : Un printemps arabe ?, N8, CNRS, 2012, p. 143- 160

³ Zeineb Touati, « La révolution tunisienne : interactions entre militantisme de terrain et mobilisation des réseaux sociaux », *L'Année du Maghreb*, Dossier : Un printemps arabe ?, N8, CNRS, 2012, p. 121-142

⁴ توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 168، ديسمبر 1992

- كارل بوبر، أسطورة الإطار. في دفاع عن العلم والعقلانية، ترجمة: يميني طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 292، أبريل/ ماي، 2003

⁵ Isaac Joseph, « L'espace public comme lieu de l'action », *Les Annales de la Recherche Urbaine* Année 1992 57-58 pp. 211-217

إلى ممارسة يومية لفاعلين اجتماعيين يعرفون بدقة خُطاطة الحيز العام الذين يعيشون فيه. وتعتبر الغرافيتي من أهمّ تجليات الفعل الاحتجاجي على مستوى الحيز العام. تُعرّف الغرافيتي بأنّها "الرموز المرسومة والمرشومة والشعارات وعبارات الهجاء التي تحوّل المباني إلى مواقع للفنّ العام شاهرة على نحو بارز حالة التحدي والمقاومة"¹. وهي على المستوى المصطلحي تعني "الرسم أو الخريشة على الأسطح والجدران ويعود أصلها إلى الكلمة الإيطالية graffito أي الخدش ومرادفها في اليونانية كلمة Graphein وتعني الكتابة التي تشير في الأصل إلى العلامات التي وجدت على جدران الأبنية المعمارية الرومانية"². وأمّا الأشكال التي يمكن أن تتجلى وتتمظهر فيها الغرافيتي فيمكن أن تكون "مرسومة أو مطبوعة" أو "الرسومات المفرغة والمرشومة بالأسبراي أو المرسومة، والجداريات البسيطة أو المعقّدة"³.

من خلال هذا المقال سوف نحاول أن ندرس علاقة الثورة التونسية بمكوّن مهمّ للحيز العام وهو جماهير الملاعب الرياضية،

فهل ساهمت الجماهير الرياضية في بناء إرهابات الثورة التونسية؟ وكيف تعاملت جماهير كرة القد التونسية ضمن مدرج الملاعب الرياضية كحيز عام؟

كما اعتمدت خلال الثورة التونسية تقنية الغرافيتي للاحتجاج والتعبير والممارسة النقدية خاصة من طرف فئة الشباب. فكيف يمكن أن نتعامل معرفيًا مع ظاهرة الغرافيتي؟ وكيف تجلّت الثورة التونسية من خلال الغرافيتي؟ وما هي التقنيات والحوامل Supports التي استخدمت لإنجاز هذه الأعمال؟

1. الحيز العام والثورة التونسية: نموذج جماهير الملاعب الرياضية

أ. الإطار النظري:

شهد الحيز العام في العالم العربي رهانات مختلفة للفاعلين الاجتماعيين سواء رهانات معمارية أو "تمديدية" أو رهانات سياسية من قبل السلطة أو المعارضة. وقد يتجلى للباحث من خلال التمثّل الجيد للفضاء العام طريقة نسج شبكات القوة والنفوذ في هذا المكان سواء على مستوى التقسيمات الطبقيّة أو العرقيّة، أو التصنيفات التحقيرية أو التفضيلية⁴.

¹ تشارلز تريب، السلطة والشعب، مسارات المقاومة في الشرق الأوسط، ترجمة: ربيع وهبه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016، ص. 363

² مليحة مسلماني، غرافيتي الثورة المصرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص. 2013، ص. 11

³ نفس المرجع، ص. 12

⁴ أنظر العدد الخاص من دورية Géocarrefour التي تناولت بالبحث الفضاء العام في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي:

Géocarrefour, vol. 77, n°3, 2002. L'espace public au Moyen-Orient et dans le monde arabe.

وقضّل الحيز العام في المدينة الإسلامية يحثّل مكانا متميّزا، حيث كان هذا الحيز مكانا مثاليا للتبادل سواء كان تبادلا تجاريا أو تبادل المعلومات والأخبار، وهو أيضا مكانا للتواصل مع الآخر، فهو يلعب دور المكان الاجتماعي، ومكان المشهدية الاحتفالية وأحيانا التعلّد¹. وقد بيّن جون كلود دافيد Jean claude david في أحد مقالاته أنّ الحيز العام في العالم الإسلامي اهتّم بالشأن السياسي والحياة اليومية المجتمعية ولكنّه كان مجالا اقتصاديا بامتياز:

2. « Le Souk est sans doute l'espace public par excellence ». هذا الحيز العام الاقتصادي ساهم في تناقل المعلومات في الثورة التونسية خاصة على مستوى الميكرو اقتصاد مثل الأسواق الأسبوعية للقرى والمدن الصغيرة والباعة المتجولين و"النصابة"، بحكم أنّ كلّ تاجر يزور كلّ يوم سوقا أسبوعية مختلفة، فتاجر الأسواق في مدينة نفزة مثلا في الشمال الغربي التونسي يبدأ بيوم الأربعاء وهو سوق نفزة والخميس بمدينة سجنان، والجمعة بمدينة طبرقة والسبت بمدينة ماطر ويوم الأحد بسوق "بزينة".

وقد ساعدت هذه الديناميكية في نقل أخبار الثورة التونسية، وساهمت بطريقة معينة في إنجاح هذه الثورة. والباحث طارق حرّود تفتّن إلى هذه النقطة وخاصة علاقة المؤانسة والحوار والتقارب المجتمعي التي تخلقها المراكز التجارية الهامشية، هذه الأماكن البعيدة نسبيا عن أعين السلطة تساهم في نشأة ممارسات اجتماعية وخطابية جديدة ومبتكرة³.

من ناحية أخرى نلاحظ أنّه من أهمّ الخصائص التي ميّزت البلاد التونسية عشية 14 جانفي 2011 هو الارتفاع الشديد لنسبة التعليم وانتشار البطالة خاصة بين حاملي الشهادات العليا، والتفاوتات الجهوية على مستوى البنية التحتية والاستثمارات الاقتصادية وحتى نسبة البطالة. وقد أكّد الباحث بيار بلافيي Pierre Blavier على أهمية الشباب المتحصّل على شهادات عليا والفاقد للعمل في الحراك الثوري، وخاصة الذين رجعوا منهم إلى مدنها المحلية بعد أن عجزوا عن العمل⁴. نتساءل في هذا الإطار عن دور هؤلاء الشباب المتعلّمين والفاقدين للعمل عن دورهم في فضاءات الحيز العام في مدنها المحلية، في أماكن مثل الحمام والحلاق والمقهى والسوق الأسبوعي والملاعب والقاعات الرياضية والمساجد وأماكن ألعاب الفيديو (playstation)

¹ Méropi Anastassiadou-Dumon, « Vivre ensemble en pays d'islam : territorialisation et marquage identitaire de l'espace urbain », in, *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée : Identités confessionnelles et espace urbain en terres d'islam*, 107-110 | septembre 2005, p. 9-30

- Mohamed Kerrou, « Jacques Berque et les villes de l'Islam », in, *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée : Identités confessionnelles et espace urbain en terres d'islam*, 107-110 | septembre 2005, p. 483- 500

² Jean-Claude David, « Espace public au Moyen-Orient et dans le monde arabe, entre urbanisme et pratiques citadines », in, *Géocarrefour* Année 2002 Volume 77 Numéro 3 pp. 219-224, p.220

³ Tarik Harroud, « L'arrivée des centres commerciaux dans les marges urbaines de Rabat : Des lieux inédits de sociabilité et de déambulation urbaine », *L'Année du Maghreb*, Dossier : Villes et urbanités au Maghreb : Pratiques urbaines et lien social, N12, 2015, p.75- 89

⁴ Pierre Blavier, « Sociogenèse de la révolution tunisienne : expansion scolaire, chômage et inégalités régionales », in, *Actes de la recherche en sciences sociales*, 2016/1 (N° 211-212), p.55- 71

وقاعات الألعاب الرياضية (Salle de jeux) وقاعات الإبحار في الانترنت أو المعبر عنها في المجتمع التونسي بـ Publinet النوادي الشبابية وخاصة نوادي الرقص حيث انتشرت قبيل الثورة التونسية ظاهرة الرقص الشبابي (Hip Hop)، ودورالخمارات وأماكن بيع الخمر خلسة حيث احتلت الممارسة الخمرية مكانة متميزة ضمن الحيز العام سواء على مستوى الاستهلاك أو على مستوى النقاشات التي تقرضها¹، هذا دون أن نغفل أنه يوجد في كل مدينة تونسية كبيرة مثل العاصمة، باجة، صفاقس دور للبقاء وهي مكان تواصل بامتياز، بل يعبر عن لحظة احتجاجية جماعية. هذا إلى جانب دور حيطان الشوارع كحامل للظاهرة الاحتجاجية من خلال ممارسة تقنية الغرافيتي (Graffiti)²، هذه الظاهرة التي ارتبطت بالحيز العام، وشهدت نموًا واضحًا خلال السنوات القليلة السابقة للثورة التونسية.

من ناحية أخرى ضلّ المسجد خلال التاريخ الإسلامي محور رهانات عديدة من قبل الفاعلين الاجتماعيين سواء من طرف السلطة أو السكان، فإلى جانب دوره التعبدي كان للمسجد دور اجتماعي واقتصادي وسياسي³، ويعتبر أيضا من أهم وسائط نقل المعلومة والأخبار على مستوى الحيز العام خاصة يوم الجمعة أين يتقابل عدد كبير من المصلين من مناطق مختلفة. ومن أهم آليات تفاعل الفاعلين الاجتماعيين خلال الحيز العام هو اتقانهم صنع ونسج العلاقات والتحالفات بين الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم، أو بعبارة أحد الباحثين الرأس مال الاجتماعي (Capital social)⁴، في هذا الإطار نجد أنّ الرابط المكاني lien spatial متشابك مع الرابط المجتمعي lien social⁵، ويتفاعل هاذين العاملين لينتج بناء شبكات علاقات متشعبة ومتداخلة. وقد اعتمدت المدينة منذ بداية الفترة الحديثة على مجموعة التقنيات التي ساهمت في ربط المجال الحضري وتقليص المسافات بين أطرافه وتسهيل التواصل بين الفاعلين الاجتماعيين. هذه النقطة التواصلية تجلّت بوضوح بداية من الثورة الصناعية مع تطوّر وسائل النقل خاصة بعد بناء السكك الحديدية واكتشاف آلة التلغراف والاعتماد على الإضاءة العمومية

¹ Nessim Znaïen, « Les territoires de l'alcool à Tunis et à Casablanca sous la période des Protectorats (1912-1956) : Des destins parallèles ? », *L'Année du Maghreb*, Dossier : Villes et urbanités au Maghreb Cultures urbaines, CNRS, N12, 2015, p.197- 210

² Karim Ouaras, « L'espace urbain algérois à l'épreuve de ses graffiti », in, *L'Année du Maghreb*, Dossier : Villes et urbanités au Maghreb Cultures urbaines, CNRS, N12, 2015, p.157- 179

³ *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, Les mosquées. Espaces, institutions et pratiques*, (Sous la direction de Fariba Adelhah et Abderrahmane Moussaoui), 125 | juillet 2009

⁴ Jean-Bernard Racine, « Pluralisation religieuse et lien social, entre repli et reconstruction d'un "capital social" », *Autres Temps. Cahiers d'éthique sociale et politique* Année 2003 Volume 79 Numéro 1 pp. 17-38

⁵ Idem, p.18

والإضاءة الكهربائية في المنازل وتطوّر شبكات المياه¹. التطوّر التقني على مستوى الوسائط التواصل واصل تطوّره إلى حدود سنة 2011 حيث نجد وسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك الذي يعتمد على الانترنت، هنا المسافات التواصلية قلّصت إلى أقصى حدّها. فكرتنا التي نطرحها في هذا المقال هي تبين علاقة الشباب التونسي العامل منه والعاطل عن العمل في الحيز العام، ودور في ذلك في الثورة التونسية. وقد اخترنا كنموذج تفسيري للحيز العام الملاعب الرياضية. مع تأكيدنا هنا على أنّ دور الشباب لا ينفي دور بقية الفاعلين الاجتماعيين في الثورة التونسية مثل اتحاد الشغل ونقابة المحامين في اكتساح الحيز العام².

ب. المداخل الملاعب الرياضية والثورة التونسية:

تعتبر عملية الاستعراض هي لبّ الرحي في حضور الجماهير للملاعب الرياضية، ومن المهمّ منهجياً على مستوى علم الاجتماع أن نقرأ جيّداً تحرّكات ورهانات وشعارات وأهازيج الجماهير الرياضية، وخاصة من خلال علاقتها بإرهاصات الحركات الاجتماعية. حيث يُعتبر مفهوم العرض Spectacle مفهوماً اجتماعياً بامتياز³.

وتعدّ الرياضة من أهمّ تجلّيات تعمير الحيز العام من قبل الفاعلين الاجتماعيين. فقد استثمرت الرياضة اجتماعياً واقتصادياً وخاصة سياسياً مثلما فعل هتلر مع أولمبياد 1936، وكما استغلّ نظام فيشي في فرنسا الرياضة لتهدئة توترات الحيز العام واستيعاب فئة الشباب⁴. وقد استثمرت الرياضة أيضاً لتعزيز نشأة الروح الوطنية خاصة في الدول المستعمرة، أو "الوطنية الرياضية" كما عبّر عن ذلك الباحث بينوا غودين Benoît Gaudin في مقاله عن دور الألعاب الرياضية في ترسيخ الوطنية في أثيوبيا⁵. أو كما بيّن توماس ريو Thomas Riot في حالة رواندا أنّ الرياضة كانت رهانا سياسياً بامتياز سواء لتكريس الهوية الوطنية لأهل البلد، أو لتمير الفكر الاستعماري، حيث أصبحت كرم القدم مثلاً بيداغوجيا استعمارية⁶:

¹ Alexandre Fernandez, Réseaux techniques et paysage urbain, *Cahiers de la Méditerranée* Année 1999 Volume 59 Numéro 1 pp. 163-172, p.166

² Éric Gobe, Les mobilisations professionnelles comme mobilisations politiques : les avocats tunisiens de la « révolution » à la « transition », *Actes de la recherche en sciences sociales*, 2016/1 (N° 211-212), p.92- 107

³ Timothy A. Gibson, La ville et le « spectacle » : Commentaires sur l'utilisation du « Spectacle » dans la sociologie urbaine contemporaine, in, *Sociologie et sociétés*, Volume 37, Numéro 1, Printemps, 2005, p. 171-195

⁴ Christophe Pécourt, « Les pratiques physiques et sportives au service de l'idéal vichyste : L'exemple des Chantiers de la Jeunesse (1940-1944) », *Sciences sociales et sport* 2008/1 (N° 1), p. 5-26

⁵ Benoît Gaudin, « Athlétisme et nationalisme dans l'Éthiopie des années 1920-1960. », *Sciences sociales et sport* 2008/1 (N° 1), p. 49-78

⁶ Thomas Riot, « Football et mobilisations identitaires au Rwanda : ethnohistoire d'une invention coloniale (1945-1959) », *Sciences sociales et sport* 2008/1 (N° 1), p. 147-164, p. 157

"Le Football : une pedagogie coloniale". كما وُظِّفَت الرياضة في فترة الأزمات والتوترات لمساعدة السكّان على نسيان العنف اليومي وبناء علاقات تضامن وصدقة وموانسة مجتمعية مثلما حصل في إيطاليا في الحرب العالمية الأولى كما بيّن ذلك جون بيار فايفيرو:¹

« Le sport a eu un impact sur le moral des troupes en les aidant à supporter la violence quotidienne, en créant un esprit de camaraderie et de corps chez les hommes d'un même régiment »

إذا يمكن لنا القول صحبة ألفريد واهل Alfred Wahl أنّ الرياضة كثيرا ما كانت شأنا سياسيا بامتياز²، خاصة عندما نتحدث عن الرياضة ضمن الحيز العام³.

وشهد الفضاء العام في البلاد التونسية منذ ما قبل الاستعمار عدّة ممارسات جسدية Pratiques corporelles صُنِّفَت فيما بعد كممارسات رياضية مثل رياضة "العكفة" و"الزقارة" و"القراش" و"العب الخيل"⁴. وخلال الفترة الاستعمارية تمّ توظيف التظاهرات الرياضية لصالح الدعاية الاستعمارية الفرنسية⁵. وفي دولة الاستقلال أي منذ 1956 وإلى حدود 2011 احتلّت الرياضة في تونس وخاصة كرة القدم مكانة مركزية ضمن الحيز العام سواء بعد بناء الملاعب الحديثة أين يتجمّع الجمهور في المدرج، أو عند ممارسة كرة القدم في الشارع:

"Le football de rue comme une passion partagée avec les garçons"⁶. وقُبيل الثورة التونسية وخلالها استغلّت كرة القدم لتفريغ كبت مجتمعي كبير وبرز ذلك من خلال أهازيج الجماهير، أو المصادمات المتكررة مع رجال الأمن. وكنموذج تفسيري على هذا الطرح نأخذ مثالا على ذلك أحد أشهر أغاني جمهور النادي الافريقي التونسي والتي كانت متداولة جدّا قبل سنة 2011:

تيوتيو تيوتيو تيوتيو أيا بوليس إحنا jamais les jeunes نخافوا
ألارت روج (Alerte rouge) في كلّ مكان وين نروحو البلاد مقلوبة والأولاد الفيراج زدموا

¹ Jean-Pierre Favero, « Le rôle du sport durant la Grande Guerre en Italie ou la mise en place d'un consensus nationaliste », *Staps* 2012/2 (n°96-97), p. 103-120, p. 116

² Alfred Wahl, « Sport et politique, toute une histoire ! », *Outre-Terre* 2004/3 (no 8), p. 13-20

³ Jean-Pierre Augustin, « Espaces publics et cultures sportives / Public spaces and sporting cultures », *Géocarrefour* Année 2001 Volume 76 Numéro 1 pp. 27-30

⁴ Borhane Errais, Mohamed Ben Larbi, « Ethnographie des pratiques corporelles dans la Tunisie pré-coloniale », *Cahiers de la Méditerranée* Année 1986 Volume 32 Numéro 1 pp. 3-24

⁵ Driss Abbassi, Le sport dans l'empire français : un instrument de domination ?, *Outre-mers* Année 2009 Volume 96 Numéro 364 pp. 5-15,

Abdelwaheb Chahed, Pratiques corporelles et sportives dans la culture tunisienne, *Cahiers de la Méditerranée* Année 1986 Volume 32 Numéro 1 pp. 25-37

⁶ Monia Lachheb, *Devenir footballeuse en Tunisie : Socialisation et construction des attributs dits masculins*, *Cahiers d'études africaines*, 2013/1 (N° 209 - 210)

هاذي حكايتنا وتو سنين هاكا نعيشو فدايين وعقليتنا لاتينو (Latino) جمهور الترجي شمتوهم بينا تغرمو صحافة حاروا وسمآونا فينومينو نلاحظ من خلال هذه الأغنية جرأة واضحة في تناول مجموعة من المواضيع كانت تعتبر قبل 2011 محرّمات Tabou مثل التصريح بعدم الخوف من رجل الأمن واستخدام مصطلح "فدائي"، بل نجد من خلال الأغنية تلميح إلى الحراك الاجتماعي من خلال عبارة "البلاد مقلوبة"¹.

وفي أغنية أخرى موحية ودالة كانت متداولة بين جماهير النادي الإفريقي وصدرت سنة 2008 نجد فيها:

ولاد الفيراج كاميكاز تشوفهم صادمين في كورتيج (Cortège) في رأسي مانيش لاباس قاروا وزطة وزيد الكأس مالعالي في اللي صاير فيا أيا حكومة أعطقني نعرف بالي تهواني ثمة حكاية تعرف وين تلقاني في الفيراج نستتي فيك والله ما عنبالي بيك ما نخافوا كان من ربي العالي ولاد الفيراج فينومان تيروريست (Terroriste) على الألوان (أي ألوان النادي) استنفار والحالة مش عادية

ديرو حظر الجولان Allez les jeunes Allez les jeunes كان الحقرة معاكم يا الكابية². كلمات هذه الأغنية تشير بمصطلحات واضحة إلى حالة الصدام والعداء التي تجمع بين السلطة وهذه الجماهير الرياضية من خلال استخدام مصطلح إرهابي Terroriste، و"حظر الجولان". مع حرص الجمهور على التذكير بعدم إيلائه أهمية كبرى لخطر العنف الشرعي الذي تحتكره الدولة من خلال التأكيد على أنهم في "الفيراج نستتي فيك والله ما عنبالي بيك"، أي لا يولون لهذا العنف وهذه السلطة أهمية كبرى. كما تلمح الأغنية إلى التمييز الجهوي الذي كان يطبع البلاد التونسية قبل 2011 من خلال مصطلح "حقرة". بل هذا الجمهور يبني هوية خاصة به يمكن أن تُعوض هوية الوطن من خلال التأكيد على تعصبهم "على الألوان" أي ألوان النادي وشعاره، هنا عوض علم البلاد بعلم النادي.

وقد تميّزت علاقات الأمن التونسي والجماهير الرياضية بالتوتر والصدام المستمر، وفي شهادة أنيس البلطي، وهو أحد مؤسسي مجموعة ألتراس أعباء النادي الإفريقي African Winners، نجد أنه يقول "إن العلاقة مع السلطة عرفت توتراً كبيراً بين 2006 و2009، ودخل العديد من أبناء المجموعة السجون، وتم إيقاف الآلاف منهم في السنوات العشر الأخيرة. ومن بين الذين أوقفوا عام 2008، أحد المسؤولين الكبار في النادي اليوم. (الناطق الرسمي

¹ للاستماع إلى الأغنية كاملة أنظر: youtube.com/watch?v=x5bEmdJQuMM

² للاستماع إلى الأغنية كاملة أنظر: ruclip.com/video/sVEEntlxsx8/24-yaal-7oukouma-a3ta9ni-album-alerta-v1.html

للنادي الإفريقي رشيد الزملي) كانت الوينرز قبل الثورة، ترفع شعارات معادية للبوليس، وهي رسالة للنظام أن جماهير الكرة في تونس غير راضية على الوضع وقادرة على التغيير. وفي هذا الإطار، يقول أحد مؤسسي مجموعة الوينرز، رشدي الزملي (43 عاماً) لرصيف22، وهو مهندس معماري يقيم في ضواحي العاصمة، إن جماهير الإفريقي كانت قبل الثورة ناقمة على الوضع السياسي في تونس، لهذا كان تعاملها مع كل ما يمثل السلطة حاداً، سواء عبر الشعارات المرفوعة، أو المواجهات العنيفة في الشوارع المحيطة بالملاعب¹.

و" يقول غازي الشابي (45 عاماً)، أحد أقدم عناصر الوينرز، إن "تدخل أصهار الرئيس الأسبق في تسيير الفريق قبل الثورة، ولّد لدى الجماهير نقمة على النظام، وكانت الهتافات مباشرة وغير مباشرة موجهة نحو السلطة وأصهار الرئيس مثل شعار "ما على بالنا بسي فلان"، أي نحن لن نكتثر لأي كان". وفلان هنا تعني السلطة ومن يمثلها. ولهذا كان مشجعو الإفريقي على رأس التظاهرات التي أطاحت ببن علي في 2011².

وقبل هروب الرئيس بن علي بأيام قليلة وفي خضمّ الثورة التونسي لعبت مباراة كرة قدم بين النجم الرياضي الساحلي والترجي الرياضي التونسي يوم 9 جانفي 2011، وقد فاز النجم الساحلي بخمسة أهداف مقابل هدف، ولكن الغريب هنا ورغم هذه الهزيمة الثقيلة والقاسية إلا أنّ جمهور الفريقين مباشرة بعد انتهاء المقابلة تجمعوا مع بعضهم وأخذوا يقذفون الأمن بالحجارة. في هذا الإطار كيف نصّف هذا الحراك الاحتجاجي للجماهير الرياضية؟ فمن المؤكّد أنّنا نستطيع تصنيفه عمرياً، أي فئة الشّباب من سنّ 18 إلى 34. وهذا أيضاً ما أبرزه عمل مارك ريسينغر وزملاءه، حيث بيّنوا أنّ الفئة العمرية من سنّ 18 إلى 24 شاركوا في الثورة بمعدّل 35.4%، ومن سنّ 25 إلى 34 بمعدّل 25%³.

الملاحظة الأخرى التي نطرحها هي مسألة العدل و"الكرامة" التي تُعدّ من أهمّ شعارات الثورة التونسية، وأيضاً في أغاني "الفيراج" التونسي، فمن أهمّ المطالب التي طرحها الذين شاركوا في الثورة التونسية كانت العدالة الاقتصادية وذلك بنسبة 58% من نسبة المشاركين⁴.

فهل يمكن لنا القول في هذا الإطار أن مدارج الملاعب الرياضية باعتبارها حيّزاً عامّاً خلقت متخيلاً اجتماعياً يجمع بين الجماهير الرياضية، فالحيز العالم باعتباره "فضاء مشترك يلتقي فيه أفراد المجتمع" و"يتبادل فيه الفهم أشخاص لم يلتقوا أبداً وينخرطون في المناقشة ويكونون قادرين

¹ aseef22.com/politics/2016/10/25/african-winners - أول-ألتراس-عربي-وحزب-سياسي-بديل

² aseef22.com/politics/2016/10/25/african-winners - أول-ألتراس-عربي-وحزب-سياسي-بديل

³ Mark R. Beissinger, Henry W. Putnam, Amaney Jamal, Kevin Mazur, "Who Participated in the Arab Spring? A Comparison of Egyptian and Tunisian Revolutions", p. 35

⁴ Idem, p.37

على التوصل إلى تصوّر مشترك"، وفي هذا الإطار يصبح "في وسعنا التكلّم على الفضاء المشترك عندما يقوم الناس بفعل مشترك يتركّز على غرض من الأغراض كأن يكون ذلك شعيرة من الشعائر أو استمتاعا بمسرحيّة أو محادثة تجري بينهم أو احتفالا بحدث كبير. فمحطّ تركيز هؤلاء الناس مشترك"¹.

يمكن أن نقول هنا أنّ النوادي الرياضيّة في تونس ساهمت في خلق متخيّل جماعي، وهذا المتخيّل ترك بصمته على مستوى الحيز العام ألا وهو مدارج الملاعب، وأصبحنا نجد مصطلحات مثل "الترجيّ يا دولة" أو "الإفريقي يا دولة"، ومن خلال هذا المتخيّل الذي يركّز على حبّ النادي والتعلّق به اكتسب الجمهور الرياضي جرأة لمهاجمة الدولة ورجال الأمن الذين يحتكّون مباشرة مع الجماهير في الملاعب.

قاسم مشترك آخر يجمع بين الثورة التونسيّة وجماهير الملاعب التونسيّة، فقد تميّزت الثورة التونسيّة بعمقها الشعبي بحكم "الاتساع الأفقي والعمودي لحجم الأضرار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية" التي شهدتها المجتمع التونسي قبيل الثورة التونسيّة². والملاعب الرياضيّة من ناحيتها كانت تستقطب كلّ الفئات الشعبيّة بدون استثناء، فرياضة كرة القدم كانت مطلبا مجتمعيّا تونسيّا، وتتميّز بدورها بـ "عمق مجتمعيّا".

2. الغرافيتي وإنتاج المعرفة خلال الثورة التونسيّة:

لقد ساهمت الغرافيتي في أن تنقد أخطاء السلطة نقدا جريئا وجارحا، ومن خلال هذه الممارسات المتواصلة بين فئة الشباب خاصّة تمّ تأسيس جماعة متخيّلة عابرة للحدود وللهويّات، أي تجد رسّام الغرافيتي في أمريكا يتفاعل مع رسّام الغرافيتي في فلسطين. ومما سهّل نشأة هذه الجماعة المتخيّلة أنّ لغة الغرافيتي لغة عالميّة لا تحتاج إلى ترجمة. فهل يمكن أن نقول هنا أن ممارسة الغرافيتي أسست لجماعة متخيّلة لا تركز على معطى هويّاتي ضيق مثل القومية؟ وهل يمكن ترتيب هذه الجماعة في مرتبة ما بعد "الجماعة المتخيّلة" التي شرحها بيندكت أندرسون في كتابه عن "الجماعات المتخيّلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها" التي تركز على معطيات هويّاتيّة ضيقة مثل الحدود الجغرافيّة واللغة والدين والتاريخ والثقافة المشتركة³.

¹ تشارلز تابلور، المتخيّلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة: الحارث النّهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص. 104-

105

² المولدي الأحمر، "الطابع المدني والعمق الشعبي للثورة التونسيّة"، ثورة تونس: الأسباب والسياقات والتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (مجموعة مؤلفين)، 2012، صص. 117-140، ص. 117

³ بيندكت أندرسون، الجماعات المتخيّلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة: ثايرديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014

رأينا هنا أنّ مرتكزات الجرافيتي كممارسة يومية تضرب بقوة في صلب أطروحة بيندكت أندرسون، فالجرافيتي لا ترتكز على لغة بعينها بل قوتها في كونها لغة عالمية، وليس لها دين معين بل هي ممارسة علمانية بامتياز وترسخ بشدة مفهوم المجتمع المدني خاصة على المستوى المجري، والجرافيتي لا تتميز بتاريخ وثقافة بعينها بل تاريخها وثقافتها وممارساتها هي تاريخ تجارب إنسانية أساسا ضدّ الدكتاتورية وإرادة القمع والإقصاء.

أين يمكن إذا أن نضع منهجيا الجرافيتي كممارسة؟ تشارلز تايلر في كتابه "المتخيلات الاجتماعية الحديثة" بين أنّ المجال العام أصبح فضاء مشتركا "يلتقي فيه أفراد المجتمع عبر جملة من الوسائط: المطبوعة، والالكترونية والمقابلات الشخصية المباشرة أيضا وذلك لمناقشة مسائل ذات اهتمام مشترك والتوصل من خلال ذلك إلى تشكيل تفكير مشترك في هذه المسائل"¹. إذا من خلال هذا الحيز العام الذي أصبح "سمة مركزية في المجتمع الحديث" ساهمت الجرافيتي في تشكيل متخيل جماعي حديث عابر للهويات المتخيلة الضيقة القائمة على مفهوم القومية الكلاسيكي، وتم ترسيخ مفهوم الكونية نسبيا من خلال الجرافيتي كممارسة إنسانية. من ناحية أخرى أكد دارن بارني Darin Barney في كتابه عن "المجتمع الشبكي" أنّ التطور التقني الذي شهدته الفترة المعاصرة، خاصة مع انتشار الأنترنت ونشأة وسائل التواصل الحديثة (تويتر، فيسبوك...)، ساهم في تشكيل فضاءات حوارية موازية لفضاءات الحوار التقليدية، وهذه الفضاءات الجديدة تتميز بزخمها المعلوماتي الرهيب وقدرتها على التملص من الرقابة التي كانت تمارسه السلطات الرقابية في الفترة ما قبل الرقمية. الباحث بين هنا أن الهوية بمعناها الكلاسيكي تزعزعت وأصبح المجتمع الشبكي يبني هويته الخاصة التي تؤسس ل «الصعود واسع النطاق للتعبيرات القوية عن الهوية الجماعية»، ويتسم صعود المجتمع الشبكي بانهايار شرعية الهويات المشرعة... وتراجع ميل الدولة القومية وغيرها من المؤسسات التقليدية، بما فيها العائلة الأبوية خصوصا، وقدرتها على منح مناصريها شيئا من الاستقلالية والفاعلية أو تقديم الرفاه الاجتماعي اللازم لضمان الولاء والقبول"². كما أنّ هذا المجتمع الافتراضي الذي ترتكز عليه ممارسة الجرافيتي تأثر بمناخ العصر الذي أصبح جزء كبير منه افتراضيا، فالثورة التونسية مثلا حسب بعض الملاحظين "ما كانت لتتحقق لولا الدور المهم الذي قام به الإعلام البديل في التعريف بانتفاضة سيدي بوزيد وما تلاها من تحركات احتجاجية سرعان ما عمت أغلب مناطق البلاد التونسية"³.

¹ تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة: الحارث النهران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص. 103

² دارن بارني، المجتمع الشبكي، ترجمة: أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص. 180-183

³ جواهر الجُموسي، الافتراضي والثورة: مكانة الانترنت في نشأة مجتمع مدني عربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص. 38

يمكن القول هنا أنّ الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ساهمت في نجاعة ممارسة الغرافيتي كفعل احتجاجي سواء على مستوى إيصال النقد إلى السلطة أو إلى بقية أطراف المجتمع المدني، أو إلى المجتمع الدولي.

وهذا ما أكد عليه أيضا أمارتيا سن Amartya Sen في أحد الكتب التي أشرف على تحريرها، حيث بينّ أنّه يوجد عاملين أساسيين ساهما في تقليص مفعول الهويات الضيقة والتأسيس لهويات جماعية وهو الدور المهم لوسائل الاعلام والتواصل التي كان لها "تأثير هائل في المساعدة على تشكيل الرأي العام مشاعره"¹. وأمّا العامل الثاني فهو صعود "الفئات الشابة" والمتعلّمة حيث أنّ الشباب هم "ورثة عالم متغيّر"².

من هذا المنطلق نلاحظ أنّ الغرافيتي خلال الثورة التونسية اعتمدت أساسا على فئة الشباب المتعلّم الذي يُتقن استخدام شبكات التواصل الحديثة ويستخدم في أعماله ورسومه مصطلحات أجنبية وأشكالا تُحيل إلى ثقافات مختلفة ومرجعيات ثقافية وفنية وسياسية متنوعة.

نحاول الآن أن ننظر إلى الغرافيتي خلال الثورة التونسية كمعطى نفسي. الباحثة سنتيا فلوري Cynthia Flori بينت في كتابها عن "نهاية الشجاعة: من أجل استعادة فضيلة ديمقراطية" أنّ مفهوم الشجاعة كممارسة انسانية خاصة في مقابل الدكتاتورية تميّز بالتقلّب حيث أنّ "الإرادة تتميز بالتحوّل والتعقيد، لأنّ رهان الشجاعة أصلا هو أن نختر طبيعة الإرادة وحرية المواطن...مع ذلك إنّ من اليقين التام أنّ المواطن يشعر بانتهزامية بمجرد المناداة عليه للقيام بالواجب"³.

رأينا في هذا الإطار أنّ ممارسة الغرافيتي خلال الثورة التونسية ساهمت في تقليل نسبة التحام ممارسي هذا الفنّ مع السلطة وممثليها في الحيز العام وهم رجال الأمن حيث أنّ الغرافيتي عادة ما تكون ممارسة ليلية، وهذا ما ساهم في ترسيخ وترفيه من شحنة الشجاعة لدى شباب الغرافيتي. فالنسبة الأكبر من أعمال الغرافيتي تُنسب إلى مجهول وبذلك يصعب على السلطة أن تقبض على الفاعل، وهذا أيضا ما يُرسّخ الشجاعة للمواصلة في المقاومة والنقد. ونحن نضع ممارسة الغرافيتي تحت خانة "فنّ الإرادة الشجاع حسب تعبير فلوري. ولكن الأهم أنّ ممارسة الغرافيتي المعتمدة على هوية جماعية عابرة للقومية تؤسّس لنظرية جمعية للشجاعة، ولكن هذه الجماعية ترتكز أساسا على "الشجاعة الأخلاقية"⁴.

¹ أمارتيا سن (تحرير)، السلام والمجتمع الديمقراطي، ترجمة: روز شوملي مصلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016، ص. 121.

² نفس المرجع، ص. 127 وما بعدها.

³ سنتيا فلوري، نهاية الشجاعة: من أجل استعادة فضيلة ديمقراطية، ترجمة: عبد النبي كوار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، ص. 42-43.

⁴ نفس المرجع، ص. 54-58.

من ناحية أخرى قدّم لنا دافيد باتريك هوتون David Patrick Houghton في كتابه عن "علم النفس السياسي" عدّة أطروحات مهمّة تساعدنا على تفهّم النفسية الاحتجاجيّة. حيث بيّن في أحد فصول الكتاب أنّ الأنا "تستطيع أن تكون ما تريد أن تكونه، وطريقة حياتك ليست محددة مسبقاً¹. ولكن ماذا يُفيدنا هذا الطرح؟ نستفيد منهجياً هنا من أنّ نفسيّة الفاعلين الاجتماعيين خلال الحيزّ العام من خلال الإقدام على الفعل الاحتجاجي تحاول التغلّب على "الطاعة" التي تحاول تكريسها الأنظمة القمعيّة تجاه الشعوب والتغلّب على "صندوق الشر" الذي تمثّله الدولة والسجون والمؤسسات عامة². ومن خلال الممارسات الاحتجاجيّة مثل الغرافيتي وغناء "الراب" يخرق الانسان الإطار الذي أريد له أن يوضع فيه، ويضرب مباشرة في صميم مفهوم "الامتثال" أو "الانسحاق" وهو "النزعة إلى السير في ركاب الآخرين...وينتج الانسحاق في رغبة الفرد في فعل الصواب³.

إذا نظريّة فلوري بخصوص الشجاعة تساعدنا على بلورة إطار نظري نفسي يساعدنا على تفهّم الشجاعة التي تحلّى بها فنّانوا الغرافيتي خلال الثورة التونسية حيث ساهموا بطريقتهم في نقد السلطة وفي الحراك الثوري الذي شهدته البلاد التونسية.

كما يمكن أن نقول أيضاً أنّ فعل الغرافيتي من خلال سياقاته التي طرحناها ساهم في إزالة النظريّات الكلاسيكيّة حول "الطبقات والتراصف الطبقي"، فعالمّة الاجتماع روزماري كرومبتون Rosemary Crompton بيّنت أنّ مفهوم الطبقة يرتكز على ثلاثة معانٍ أساسية وهم:

- الطبقة بوصفها نفوذاً ومكانة وثقافة اجتماعية أو أسلوب حياة.
- الطبقة بوصفها بنية من التفاوت الاجتماعي والاقتصادي، لها علاقة بامتلاك الموارد الاقتصادية والنفوذ.
- الطبقات بوصفها قوى فاعلة اجتماعية وسياسية فعلية أو ضمنية⁴.

من خلال طرح روزماري نلاحظ أنّ أصحاب الغرافيتي يمكن أن يتملّصوا من التعريف الكلاسيكي لمفهوم طبقة. فهم جماعة عابرة للتصنيف بطريقة عموديّة (غني، فقير...) أو أفقيّة (عامل، عاطل عن العمل، تلميذ، طالب...) سواء على مستوى الميكرو (المجتمع المحلي) أو الماكرو (المجتمع الدولي). إذا فإنّ أصحاب الغرافيتي ينتمون إلى مجموعة متداخلة من دوائر الهوية، ولبّ رعى هذه الدائرة هي الفعل الكوني للغرافيتي. وهذا الفعل يمكن أن نطلق عليه اسم

¹ دافيد باتريك هوتون، علم النفس السياسي، ترجمة: ياسين حدّاد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص. 78

² نفس المرجع، ص. 81-114

³ نفس المرجع، ص. 400

⁴ روزماري كرومبتون، الطبقات والتراصف الطبقي، ترجمة: محمود عثمان حدّاد/ غسان رملوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة

السياسات، 2016، ص. 54

الحراك "الثوري العابر للحدود" يركز على "تصوّر عالمي لكفاح أرحب وأوسع مدى بكثير" من المفهوم الجغرافي للدولة¹، أي الدولة التي تعتمد على حدود دقيقة وهوية خرائطية صارمة تركز عليها سيادتها². والغرافيتي كفعل مقاومة عابر للحدود ساهم في خلخلة هذه الخرائطية الدقيقة ولو على مستوى ميكرو الحياة اليومية فقط. ومن خلال نفي هذه الجغرافيا خلقت "جغرافيا مكانية للإبداع" خاصة بها" متمردة على "جغرافيا المكان" بمعناه الملموس³.

ومن ناحية أخرى نلاحظ أنّ ممارسة الفعل الاحتجاجي من خلال الحيز العام قلّص نوعا ما من دور المثقف الكلاسيكي في إيقاد الثورة وفي توجيهها وقيادتها حيث أنّ "الربيع العربي في عامه الأول وإبان هبوب نُسيماته الرحيمة وقبل اصطباغ أزاهيره ومروجه باللون الأرجواني وتلوّث جداوله وأنهاره بأحوال المستنقعات أخرج مفهوم <المثقف العضوي> من التداول فلم نعرف عن اسم أو أسماء ارتبطت به أو بها تحركات الشباب العربي في ميادينهم المختلفة"⁴.

ورأينا هنا أنّ هذه الفجوة التي تركها المثقف ملأها الفعل الاحتجاجي الشبابي وخاصة ممارسة الاحتجاجات الفنية المبتكرة مثل الغرافيتي والهيب هوب Hip hop ، وهذا ما ينفي الرأي السلبي نسبيا الذي قدّمه عزمي بشارة حول كون الفنّان عندما ينزل إلى الحيز العام يجب أن يكون "مثقفا" حيث "يأتي الالتزام هنا كوظيفة خارجية للفنّ ، إنّها وظيفة الفنّان بوصفه مثقفا يقرّر ان يؤثّر بواسطة الفنّ... ليس الالتزام بنبويّا للفنّ الذي يُخاطب الحسّ الجمالي لكنّه يُميّز الفنّان إذا أصبح مثقفا" وهنا "يؤدّي الأخير دورا في المجال العام"⁵. ولكن طرحنا نحن في هذه الورقة ينقض تماما هذه الفكرة وهي أنّ فنّانوا الغرافيتي انتزعوا احتكار المثقف للفعل الثوري وتحويل هذا الفعل الثوري من فعل نخبوي إلى فعل "عمومي" يمكن تداوله بين الجميع. وأصبح للجميع حقّ النفاذ إلى هذه الممارسة، بل أنّ "النخبة" في خضمّ الثورة التونسية أصبحت تسعى إلى ممارسة الغرافيتي وهذا اعتراف منها بأنّ الثورة التونسية كانت فعلا عموميا بامتياز نزعت منه صفة "المثقف". (أنظر الصورة عدد 1)

¹ حميد دباشي، ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ترجمة: باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2015، ص. 248.

² جوردن برانش، الدولة الخرائطية: الخرائط والاقليم وجذور السيادة، ترجمة: جلال عزّ الدين/ عاطف معتمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017.

³ حسان حاجي، الحركات الفنية المقاومة والتمرد على جغرافيا المكان: مجموعة "اهل الكهف" و"فني رغما عني" نموذجا،

nawaat.org/portail/2012/05/11/الحركات-الفنية-المقاومة-حين-تتمرد-على. 11 ماي 2012

⁴ يوسف الشويري، "دور المثقف العربي في التغيرات التاريخية: المثقف والمجال الثقافي"، دور المثقف في التحولات التاريخية (مجموعة مؤلفين)، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات، 2017، صص. 105-126، ص. 109.

⁵ عزمي بشارة، "مقاربات نقدية للرائج عن المثقف"، ضمن نفس المرجع، صص. 33-40، ص. 37-38.



الصورة عدد 1: محامي يستخدم الغرافيتي لكتابة كلمة "ثورة" باللغة الفرنسية

في هذا الإطار هل يمكن القول أن فنّاني "الشارع" ساهموا في إخراج الفاعل الاجتماعي من "الأزمة الإبداعية" والاستلاب الذي كان يعيشه، وأصبحت الغرافيتي لغة للتعبير باعتبارها رؤية جمالية للعملية الثورية، أي "التحوّل الجمالي للعنف نحو إعادة تأسيس حازم لموضوع التحدي"¹.

أ. الغرافيتي كممارسة خلال الثورة التونسية من خلال بعض النماذج:

نلاحظ أنّ فعل الغرافيتي خلال الثورة التونسية تمكّن من إنشاء مجموعات تشبه منظمات المجتمع المدني خاصة من خلال مجموعة "زوالي" أو "زواولة" أي الفقير وهي مجموعة شبابية تمارس رسم الغرافيتي على جدران المدن وخاصة في العاصمة، وقد اتخذت شعارا لها هو حرف Z اللاتيني². (صورة عدد 2)



صورة عدد 2

¹ حميد دباشي، ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب، ترجمة: باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسط، 2015، ص.232.

يحلّل الأستاذ دباشي في هذا الموضوع من الكتاب الأعمال السينمائية لمحسن مخملباف.

² خلال سنة 2012 تم القبض على شابين من مجموعة "زواولة للغرافيتي" بتهمة "ترويج إشاعات من شأنها إحداث بلبلة وتعكير الأمن العام. أنظر:

ar.webmanagercenter.com/2013/01/23/14184 تأجيل-النظر-في-قضية-زواولة-إلى-27-مارس-ال

nawaat.org/portail/2012/11/13 شباب-زواولة-محاكمتنا-هي-وجه-لمعركة-حر

نلاحظ من خلال مجموعة "زواولة" قدرة كبيرة على التجمّع والتنظّم. ونسجّل أنّ اختيار اسم المجموعة نفسه يحمل في طيّاته نقداً مبطناً تجاه السلطة والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها المجتمع التونسي قبيل الثورة التونسية وبعدها.

ووعي مسألة التفجير التي تعرّض لها التونسيون نجد صداها في غرافيتي أخرى: (صورة عدد 3)



صورة عدد 3

فمن طريق مجموعة Z المحيلة إلى كلمة "زوّالي" نجد أنّ الفقير "دفنوه وعينو حياة" أي أنّ التفجير وصل إلى مداه.

ومن خلال غرافيتي أخرى نجد تعليقا طريفا ولكنه معبر جداً عن حالة فقراء البلاد التونسية زمن الثورة: (صورة عدد 4)



صورة عدد 4

نلاحظ أنّ الزوالي يطلب "فريش" أي يستسلم أمام الواقع استسلام غير مشروط. ومصطلح "فريش" مصطلح باللغة العامية التونسية يستخدم في لعبة الورق ويُحيل إلى التسليم وفقدان المبادرة. فمن خلال هذه اللغة الشبابية والبسيطة والقادرة على النفاذ إلى المنظومة المعرفية لمجمل الشعب التونسي تمّ إيصال رسالة صاحب الغرافيتي، وفي ضلّ التطوّر التكنولوجي وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك يسهل إيصال هذه الرسالة سواء إلى السلطة أو إلى عدد كبير من المتلقين سواء داخل البلاد أو خارجها.

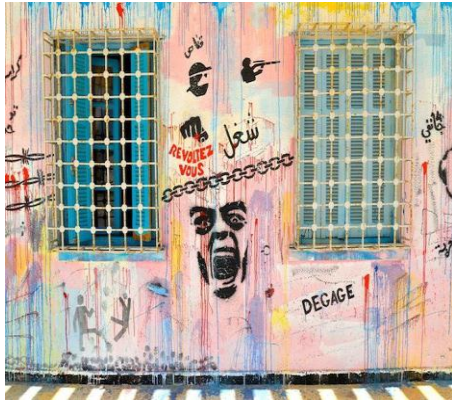
والهجمات التي تعرّض رسّامو الغرافيتي من طرف السلطة وبعض الأحزاب في وسائل الإعلام جعلهم يُدافعون عن أنفسهم فنيًا من خلال التأكيد على أنّ الغرافيتي ليس جريمة. (صورة عدد 5)



صورة عدد 5

ومن أهمّ الشعارات التي رُفعت في رسوم الغرافيتي في الثورة التونسية نجد Degage و مصطلح "Game Over" أي نهاية اللعبة. كما تمّ استخدام مصطلح "حرية" أو freedom أو Liberté. (صورة عدد 6 و 7)

والباحثة ليلي الدخلي بيّنت في مقالها الذي بعنوان "قراءة في الثورة التونسية Une lecture de la révolution tunisienne أنّ الثورة التونسية ساهمت في خلق وسائل تعبير واحتجاجات مبتكرة، وعبرت عن هذه الثورة بكونها ثورة إبداعية Révolution créatrice خاصة من خلال توظيفها لوسائل التواصل الاجتماعي (فايسبوك، تويتر...) ولطرق احتجاج جديدة مثل الغرافيتي أي الرسوم الجدارية والحائطية¹.



صورة عدد 7



صورة عدد 6

كما نلاحظ أنّ الغرافيتي وظّفت مجموعة من الصور الأيقونية خلال فترة الثورة مثل محمد البوعزيزي. (صورة عدد 8)

¹ Leyla Dakhli, « Une lecture de la révolution tunisienne », Le Mouvement Social 2011/3 (n° 236), pp. 89-103, p. 100- 101



صورة عدد 8

كما نجد صورة الزعيم فرحات حشاد مؤسس الاتحاد العام التونسي للشغل دون نسيان قولته الشهيرة "أحبك يا شعب". (صورة عدد 9)



صورة عدد 9

نلاحظ أنه على المستوى الفني تُعتبر الجرافيتي من أهم الممارسات الفنية سواء عند استخدامها للألوان أو الأشكال أو الترميز، ولكن الأهم بالنسبة للجرافيتي أنها أنزلت الممارسة الفنية من البرج العاجي للفنانين إلى ممارسة متداولة على مستوى الحيّز العام بين الناس "العاديين"، وأصبح النفاذ إليها سهلا وقُلّصت كثيرا من نخبوية الممارسة الفنية¹. وهذا البعد الفني للجرافيتي لا ينفى عنها أبعادها ورهاناتها السياسية الحارقة والناقدة بشدة. فعن طريق تلاقي الجرافيتي والحيّز العام يتم صنع وإنشاء فضاء للحركة والحراك السياسي والاجتماعي. والفاعلين الاجتماعيين الذين يُمارسون الجرافيتي هم أنفسهم عادة يُمارسون رقصة الهيب هوب hip-hop وأغاني الرّاب Rap الشهيرة والتي غالبا ما تكون أغان قاذحة للسلطة وناقدة لها. إذا يصبح الحيّز العام مسرحا وركبا للمعارضة السلمية تقودها عادة فئة الشباب². والميزة في هذه المعارضة اللاعنافية أنها معارضة

¹ Federico Tarragoni, « Le peuple est dans la rue. Politiques du street art dans les barrios vénézuéliens », in, Sociologie de l'Art

2016/1 (OPuS 25 & 26)

² Loïc Lafargue de Grangeneuve, « L'ambivalence des usages politiques de l'art. Action publique et culture hip-hop dans la métropole bordelaise », Revue française de science politique 2006/3 (Vol. 56), p. 457-477.

مدينية بالأساس، أي فضاءها المدينة¹، وهذا ما يسهل عليها الوصول إلى وسائل الاعلام وإسماع صوتها المعارض.

إذا نُعدّ الكتابة على جدران الشارع من أهمّ وسائل المقاومة والاحتجاج خاصة في ضلّ عدم توازن موازين القوى بين أجهزة الدولة القويّة وبين الفاعلين الاجتماعيين. فكما بيّن غيلوم مارش GUILLAUME MARCHE في أحد مقالاته أنّ الغرافيتي هي بالأساس تعبير ومقاومة، وهي نقل التصريح أحيانا إلى التلميح، فالكتابة الحائطيّة يمكن أن تعتمد على الترميز، كما أنّ صاحب الكتابة يمكن أن يضلّ مجهولا ويصعب على أجهزة الدولة الرقابية أن تُراقبه. في هذا الإطار تسهل نسبيا عملية المقاومة وفعل النقد².

تنوّعت المواضيع التي تناولتها الغرافيتي خلال الثورة التونسية مثل رسم جرافيتي لعدد من شهداء الثورة التونسية (استشهدوا قبل 14 جانفي) على جدران الساحات العامة التونسية، ورمزية الخبز سجلت حضورها بكثافة في الثورة التونسية خاصة مع القولة الشهيرة التي انتشرت منذ بداية الثورة "خبز وماء وبن علي". كما تمّ "أيقنة" دور عربة محمد البوعزيزي في اشعال فتيل الثورة التونسية، أي أصبح من خلال الغرافيتي شخصية أيقونية. كما تمّ توظيف الجملة التاريخية التي قيلت من طرف مواطن يوم هروب بن علي "هرمنا من أجل هذه اللحظة التاريخية"، وأيضا جملة "هاني فهمتكم" أي "لقد فهمتكم" التي قالها بن علي في آخر خطاب قاله قبل هروبه من البلاد. كما نوّكد على أنّ ممارسة الغرافيتي تحيل مباشرة إلى ممارسة مواطنة بامتياز، وهي تتموضع في قلب المجتمع المدني.

ومن خلال الاعمال الفنيّة التي ينتجها فنّانوا الغرافيتي نتبيّن وعيا شديدا بالإذلال الذي يُراد لهم أن يُحشروا فيه كمهمّشين. برتران بادي في كتابه عن "زمن المذلولين" بيّن التجليات المختلفة للإذلال الذي يمكن أن تتعرّض الشعوب منها "الإذلال بواسطة الإقصاء" و"الإذلال بواسطة الانتقاص" و"الإذلال بواسطة الوصم" و"الإذلال بواسطة إنكار المساواة"³. ونلاحظ أنّ الثورة التونسية حملت في طياتها مجموعة من المصطلحات والعبارات التي تُحيل مباشرة إلى وضعيّة الإذلال التي عاشها قبل 14 جانفي 2011، بل سُمّيت الثورة التونسية ب"ثورة الكرامة"، ورُدّد كثيرا قُبيل هروب الرئيس السابق بن علي عبارة "خبز وماء وبن علي لا". وعلى المستوى الفنّي خاصة الغرافيتي عدّمت الكرامة من أهمّ أهداف الثورة التونسية.

¹ Ibid, p.475- 476

² GUILLAUME MARCHE, "Expressivism and Resistance: Graffiti as an Infrapolitical Form of Protest against the War on Terror", in, Revue française d'études américaines, 2012/1 (No 131), p.78- 96

³ برتران بديع، زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة: جان ماجد جبور، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص. 81- 106

ب. حوامل Supports الجرافيتي خلال الثورة التونسية:

استخدمت عدّة حوامل ضمن الحيز العام لإبراز الجرافيتي خاصّة الجدران¹.



الصورة 10

نلاحظ أنّ هذه الجرافيتي التي رسمت مباشرة بعد الثورة صمّمت على جدار جسر يقع في وسط تونس العاصمة. والمثير في هذا العمل أنّه يحمل تاريخ الرّسم (2011) واسم صاحبه (بن مسعود)، وهذه الممارسات غير مألوفة في أعمال الجرافيتي. (صورة عدد 10)



صورة عدد 11

الحامل هنا سيّارة قديمة ونلاحظ تواجد عدّة أشكال ورسومات موحية منها تحويل لشكل الخريطة التونسية، والعلم التونسي، وأيدي لأشخاص تعبّر عن الاحتجاج والمطالبة. (صورة عدد 11)

¹ Marie-Hélène Verneris (avec la collaboration de Laure Bulmé), **Quand les graffitis font le mur...** : Analyse socio-sémiotique dans les murs d'une ancienne abbaye reconverte en maison centrale, Clairvaux, in, **Le sujet dans la cité**, 2016, N5, p.45- 62



صورة عدد 12

الحامل هنا هو باب حديدي. ونجد عبارات موحية الى جانب صورة بن علي مثل "راسمالية/ Capitalisme"، كما تتواجد صورة مقصّ وهو يشير الى الرقابة، إلى جانب كتابة كلمة ثورية (صورة عدد 12).



صورة عدد 13

الحامل هنا هو حائط خشبي في موقع بناء. (صورة عدد 13)



صورة عدد 14

الحامل في هذا العمل هو باب متجر. ومصطلح "RCD" يشير إلى الحزب الحاكم في تونس في فترة حكم بن علي. (صورة عدد 14)



صورة عدد 15

الحامل للجرافيتي هنا هو شجرة فيها صورة بن علي. (صورة عدد 15)



صورة عدد 16

رسم جرافيتي لعدد من شهداء الثورة التونسية (استشهدوا قبل 14 جانفي) على الحائط بمدينة الرقاب (ولاية سيدي بوزيد) التونسية. ونلاحظ أنّ جدران المؤسسات العمومية استخدمت في عدد كبير من رسومات الجرافيتي كحامل. ويمكن أن يرجع ذلك إلى أنّ المؤسسات العمومية تتوسط دائما المدن وهي محطّ أنظار كلّ الفاعلين الاجتماعيين سواء سياسيين أو مواطنين أو إعلاميين، أو عمّال المؤسسة العمومية نفسها. (صورة عدد 16)

خاتمة:

يمكن القول في الأخير أنّ الحيّز العام قبيل وأثناء سنة 2011 كان له دور مهمّ في إنجاح الثورة التونسية. فمن المهمّ أن نهتمّ بالتاريخ المجهرى للفاعلين الاجتماعيين "العاديين" سواء على مستوى دورهم في نقل الخبر والمعلومة أو في التجييش أو في المقاومة الصامتة والخفية. وقد حاولنا أن نبين في المقال أنّ جماهير الملاعب الرياضية في تونس تعاملت مع الأجهزة الأمنية قبل الثورة بجرأة مفرطة، وبنقد صارم لوضع البلاد التونسية أمنيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

وقد شهدت مدارج الملاعب التونسية تطبيقاً مدهشاً لمفهوم الحيز العام باعتباره حيزاً يجري فيه "عرض قضايا الفوارق المجتمعية والمشكلات الاجتماعية"، وهو الحيز العام المتخلص من سيطرة السوق وسيطرة السياسة، من هنا تحول الفعل على مستوى الحيز العام من فعل "كمهنة للنخبة" إلى "عملية مستمرة يستطيع من خلالها المواطنون الناشطون المساعدة في تشكيل وصياغة أهداف المجتمع الصالح ووسائله في آن".¹ فالإلى جانب أهمية المنظمات النقابية وفي مقدمتهم اتحاد الشغل وجمعيات المجتمع المدني في هيكلة وتأطير الثورة التونسية، إلا أن بناء نواة هذه الثورة جدّ معقد، وعادة الأفراد "العاديون" هم الفاعلون الاجتماعيون الذين حملوا رهان هذا البناء لو عن غير وعي بإمكانية حصول ثورة، مثل الجماهير الرياضية التي تمكنت من بناء "مخيلة" وثقافة ومصطلحات خاصة بها، ولكن لا يخفى على المدقق بعدها النقدي والثوري والواعي بسياقها ومحيطها، وتحولت المدارج إلى أماكن لممارسة الحرية ومقاومة الاستبداد.

ومن ناحية أخرى مثلت الغرافيتي قبيل الثورة التونسية وخلالها متنفساً مهماً وفعلاً ثورياً مدنياً بامتياز. فقد استطاعت هذه الممارسة أن تتقد فنياً وأن تخلق مخيلة جماعية نضالية عابرة للحدود الجغرافية ولكنها غير منبئة عن الواقع التونسي المنبثقة منه. وعن طريق الغرافيتي أصبح فعل المعارضة فعلاً عمومياً لا نخبياً. بل أصبحت المعارضة والحراك الثوري يتركز في الغرافيتي على السلمية والمدنية والفعل الفني ولا يمت بصلة إلى الممارسة العنيفة. وقد ارتكزت الغرافيتي على تقنيات فنية مهمة وعلى حوامل متنوعة، من دون أن تُغفل استفادت الغرافيتي الكبيرة من تطور وسائل الاتصال الاجتماعي.

المراجع باللغة العربية:

- الأحمر، المولدي، "الطابع المدني والعمق الشعبي للثورة التونسية"، ثورة تونس: الأسباب والسياسات والتحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (مجموعة مؤلفين)، 2012، صص. 117-140
- إدوارد، مايكل، المجتمع المدني. النظرية والممارسة، ترجمة: عبد الرحمان عبد القادر شاهين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015
- أندرسون، بندكت، الجماعات المتخيلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها، ترجمة: نائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014

¹ مايكل إدوارد، المجتمع المدني. النظرية والممارسة، ترجمة: عبد الرحمان عبد القادر شاهين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، صص. 102-107

- باتريك هوتون، دافيد، **علم النفس السياسي**، ترجمة: ياسين حدّاد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015
- بارني، دارن، **المجتمع الشبكي**، ترجمة: أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015
- بديع، برتران، زمن المذلولين: باثولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة: جان ماجد جبور، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015
- برانش، جوردن، **الدولة الخرائطية: الخرائط والأقليم وجذور السيادة**، ترجمة: جلال عزّ الدين/عاطف معتمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017
- بشارة، عزمي، "مقاربات نقدية للرائج عن المثقف"، **دور المثقف في التحولات التاريخية** (مجموعة مؤلفين)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، صص.، صص. 33-40، ص. 37-38
- بوبر، كارل، **أسطورة الإطار. في دفاع عن العلم والعقلانية**، ترجمة: يمني طريف الخولي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 292، أبريل/ماي، 2003
- تايلر، تشارلز، **المتخيلات الاجتماعية الحديثة**، ترجمة: الحارث النبهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015
- تايلور، تشارلز، **المتخيلات الاجتماعية الحديثة**، ترجمة: الحارث النبهان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015
- تريب، تشارلز، **السلطة والشعب، مسارات المقاومة في الشرق الأوسط**، ترجمة: ربيع وهبه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2016
- الجمّوسي، جوهر، **الافتراضي والثورة: مكانة الانترنت في نشأو مجتمع مدني عربي**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016
- دباشي، حميد، **ما بعد الاستشراق: المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب**، ترجمة: باسل عبد الله وطفه، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2015
- سن أمارتيا(تحرير)، **السلام والمجتمع الديمقراطي**، ترجمة: روز شوملي مصلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016
- الشويري، يوسف، "دور المثقف العربي في التغيرات التاريخية: المثقف والمجال الثقافي"، **دور المثقف في التحولات التاريخية** (مجموعة مؤلفين)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، صص. 105-126، ص. 109
- فلوري، سينتيا، **نهاية الشجاعة: من أجل استعادة فضيلة ديمقراطية**، ترجمة: عبد النبي كوار، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017

- كرومبتون، روزماري، **الطبقات والتراصف الطبقي**، ترجمة: محمود عثمان حدّاد/ غسان رملوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016
- كون، توماس، **بنية الثورات العلميّة**، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 168، ديسمبر 1992
- مسلماني، مليحة، **غرافيتي الثورة المصرية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص. 2013

المراجع باللغة الأجنبية:

- Abdelwaheb Chahed, Pratiques corporelles et sportives dans la culture tunisienne, *Cahiers de la Méditerranée* Année 1986 Volume 32 Numéro 1 pp. 25-37
- Alexandre Fernandez, Réseaux techniques et paysage urbain, *Cahiers de la Méditerranée* Année 1999 Volume 59 Numéro 1 pp. 163-172, p.166
- Alfred Wahl, « Sport et politique, toute une histoire ! », *Outre-Terre* 2004/3 (no 8), p. 13-20
- Benoît Gaudin, « Athlétisme et nationalisme dans l'Éthiopie des années 1920-1960. », *Sciences sociales et sport* 2008/1 (N° 1), p. 49-78
- Borhane Errais, Mohamed Ben Larbi, « Ethnographie des pratiques corporelles dans la Tunisie pré-coloniale », *Cahiers de la Méditerranée* Année 1986 Volume 32 Numéro 1 pp. 3-24
- Christophe Pécout, « Les pratiques physiques et sportives au service de l'idéal vichyste : L'exemple des Chantiers de la Jeunesse (1940-1944) », *Sciences sociales et sport* 2008/1 (N° 1), p. 5-26
- Cultures urbaines, CNRS, N12, 2015, p.157- 179
- Driss Abbassi, Le sport dans l'empire français : un instrument de domination ?, *Outre-mers* Année 2009 Volume 96 Numéro 364 pp. 5-15,
- Éric Gobe, Les mobilisations professionnelles comme mobilisations politiques : les avocats tunisiens de la « révolution » à la « transition », *Actes de la recherche en sciences sociales*, 2016/1 (N° 211-212), p.92- 107
- *Géocarrefour*, vol. 77, n°3, 2002. L'espace public au Moyen-Orient et dans le monde arabe.
- Jean-Bernard Racine, « Pluralisation religieuse et lien social, entre repli et reconstruction d'un "capital social" », *Autres Temps. Cahiers d'éthique sociale et politique* Année 2003 Volume 79 Numéro 1 pp. 17-38
- Jean-Claude David, « Espace public au Moyen-Orient et dans le monde arabe, entre urbanisme et pratiques citadines », in, *Géocarrefour* Année 2002 Volume 77 Numéro 3 pp. 219-224, p.220
- Jean-Pierre Augustin, « Espaces publics et cultures sportives / *Public spaces and sporting cultures* », *Géocarrefour* Année 2001 Volume 76 Numéro 1 pp. 27-30

- Jean-Pierre Favero, « Le rôle du sport durant la Grande Guerre en Italie ou la mise en place d'un consensus nationaliste », *Staps* 2012/2 (n°96-97), p. 103-120, p. 116
- Karim Ouaras, « L'espace urbain algérois à l'épreuve de ses graffiti », in, *L'Année du Maghreb*, Dossier : Villes et urbanités au Maghreb
- Mark R. Beissinger, Henry W. Putnam, Amaney Jamal, Kevin Mazur, "Who Participated in the Arab Spring? A Comparison of Egyptian and Tunisian Revolutions"
- Méropi Anastassiadou-Dumon, « Vivre ensemble en pays d'islam : territorialisation et marquage identitaire de l'espace urbain », in, *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée : Identités confessionnelles et espace urbain en terres d'islam*, 107-110 | septembre 2005, p. 9-30
- Mohamed Kerrou, « Jacques Berque et les villes de l'Islam », in, *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée : Identités confessionnelles et espace urbain en terres d'islam*, 107-110 | septembre 2005, p. 483- 500
- Monia Lachheb, Devenir footballeuse en Tunisie : Socialisation et construction des attributs dits masculins, *Cahiers d'études africaines*, 2013/1 (N° 209 - 210)
- Nessim Znaïen, « Les territoires de l'alcool à Tunis et à Casablanca sous la période des Protectorats (1912-1956) : Des destins parallèles ? », *L'Année du Maghreb*, Dossier : Villes et urbanités au Maghreb Cultures urbaines, CNRS, N12, 2015, p.197-210
- Pierre Blavier, « Sociogénèse de la révolution tunisienne : expansion scolaire, chômage et inégalités régionales », in, *Actes de la recherche en sciences sociales*, 2016/1 (N° 211-212), p.55- 71
- *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, *Les mosquées. Espaces, institutions et pratiques*, (Sous la direction de Fariba Adelkhah et Abderrahmane Moussaoui), 125 | juillet 2009
- *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, *Révolutions arabes : un événement pour les sciences sociales ?*, N 138, 2015
- Stéphanie Pouessel, « Les marges renaissantes : Amazigh, Juif, Noir. Ce que la révolution a changé dans ce « petit pays homogène par excellence » qu'est la Tunisie », in, *L'Année du Maghreb*, Dossier : Un printemps arabe ?, N8, CNRS, 2012, p. 143- 160
- Tarik Harroud, « L'arrivée des centres commerciaux dans les marges urbaines de Rabat : Des lieux inédits de sociabilité et de déambulation urbaine », *L'Année du Maghreb*, Dossier : Villes et urbanités au Maghreb : Pratiques urbaines et lien social, N12, 2015, p.75- 89
- Thomas Riot, « Football et mobilisations identitaires au Rwanda : ethnohistoire d'une invention coloniale (1945-1959) », *Sciences sociales et sport* 2008/1 (N° 1), p. 147-164, p. 157

- Timothy A. Gibson, La ville et le «spectacle»: Commentaires sur l'utilisation du «Spectacle» dans la sociologie urbaine contemporaine, in, *Sociologie et sociétés*, Volume 37, Numéro 1, Printemps, 2005, p. 171-195
- Zeineb Touati, « La révolution tunisienne : interactions entre militantisme de terrain et mobilisation des réseaux sociaux », *L'Année du Maghreb*, Dossier : Un printemps arabe ?, N8, CNRS, 2012, p. 121- 142

المواقع الإلكترونية:

- youtube.com/watch?v=x5bEmdJQuMM
- ar.webmanagercenter.com/2013/01/23/14184-تأجيل-النظر-في-قضية-زواولة-إلى-27-مارس-ال
- حسن حاجبي، الحركات الفنية المقاومة و التمرد على جغرافيا المكان : مجموعة "اهل الكهف" /الحركات-الفنية-المقاومة-حين-11/05/2012nawaat.org/portail/2012/05/11-فني رغما عني" نموذجاً،
تتمرد-على. 11 ماي 2012
- nawaat.org/portail/2012/11/13/شباب-زواولة-محاكمتا-هي-وجه-لمعركة-حر
- aseef22.com/politics/2016/10/25/african-winners،--أول-التراس-عربي-وحزب-سياسي--،
بديل
- aseef22.com/politics/2016/10/25/african-winners،--أول-التراس-عربي-وحزب-سياسي--،
بديل
- ruclip.com/video/sVEEntIbsx8/24-yal-7oukouma-a3ta9ni-album-alerta-v1.html